أبطال كالجبال

عبد اللطيف بن هاجس الغابري

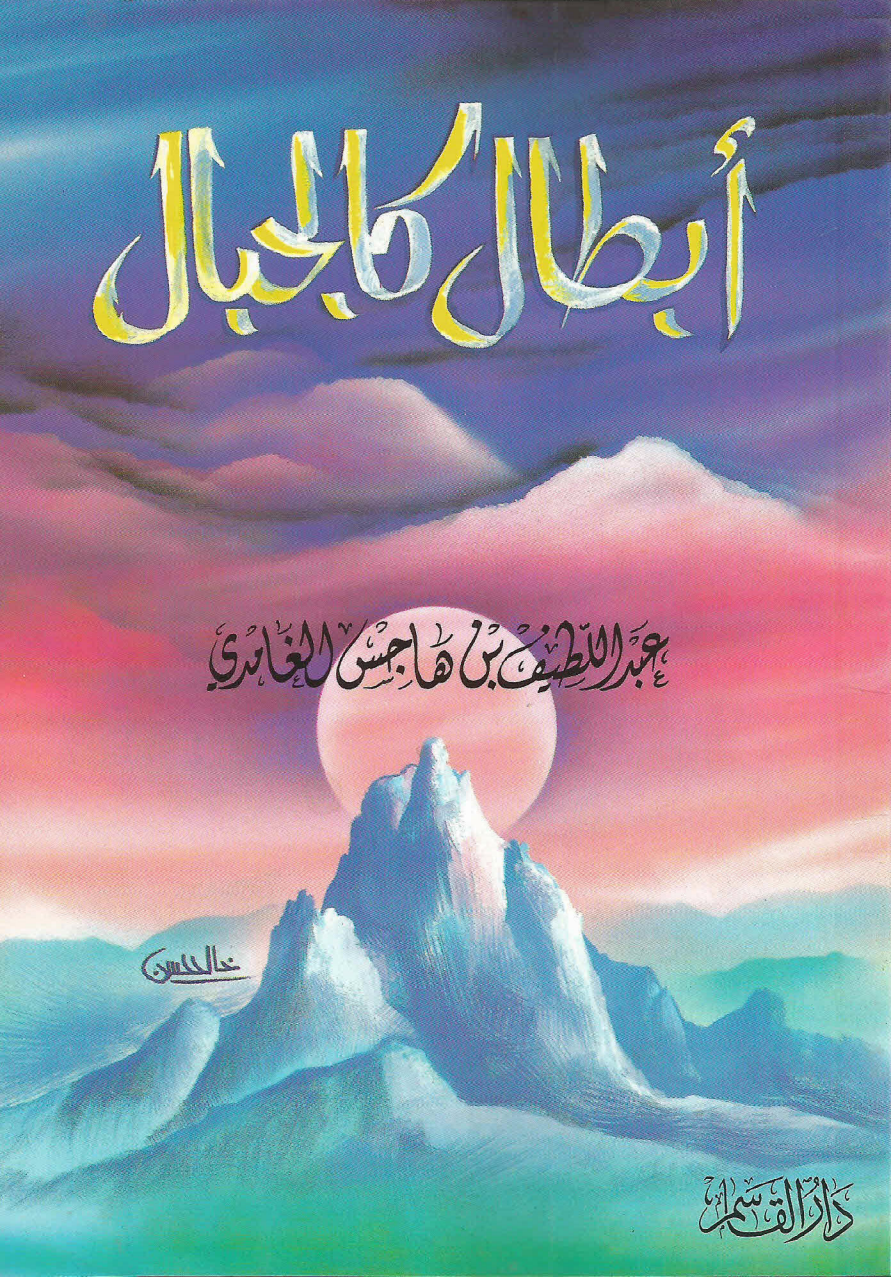

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي، عبد اللطيف

أبطال كالجبال. - الرياض.

٣٢ ص، ١٢ × ١٧ سم.

ردمك: ٠ - ٢٨١ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الشجاعة

٢ - الأخلاق الإسلامية أ - العنوان

ديوي ٢١٢ ٢٠/٣٢٩١

رقم الإيداع: ٢٠/٣٢٩١

ردمك: ٠ - ٢٨١ - ٣٣ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر

الرياض، ١١٤٤٢، ص. ب، ٦٢٧٣

هاتف، ٤٧٧٥٣١١ (٤ خطوط)، فاكس، ٤٧٧٤٤٣٢

• البريد الإلكتروني، sales @ dar-alqassem.com

• موقعنا على الإنترنيت، www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمْدُ لله الكبير المتعال، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب..

والصلاة والسلام على أكرم البشر، وأفضل الخلق، وأعظم من مشى على الثرى، وخطَّ بقدميه فوق التراب..

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أمَّا بعد:

أخي الشاب:

لله درُّك! وعليهِ شُكرُك! ومِنهُ أجرُك!

يوم تركتَ الدنيا وهي تتزين لك، وهجرت الأصحاب وهم ينادونك، وأعرضت عن الملهيات وهي تتحرَّشُ بك، وعكفت على هذا الكتاب لبضع دقائق تقلُّ أو تكثر! شعارك؛ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فمن مثلك؟!

والله لو يعلم المحرومون ما أنت فيه من السعادة والهناء - بإيمانك وعملك الصالح - لجالدوك عليها بالسيوف، فطب نفسًا بما أنت فيه، وقرَّ عينًا بما أنت عليه، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلقَ له...

وتمت كلمة ربِّك في خلقِه؛ موفق ومخذول، مسدَّد ومحروم، بطل وبطَّال.

فحيَّهلا إن كنت ذا همَّة فقد

حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا

وإما تخافنَّ الكلاَل فقل لها

أمامكِ وردُ الوصل فابغِ المناهلا

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد

ودعه فإنَّ الشوق يكفيك حاملا

العلة في الذِّلة:

لقد كبا جواد هذا الأمة، وطاش سهمها، وسقطت ـ لحين ـ رايتها، فأصبحت في ذيل القافلة ذليلة، ومن قلَّب البصر وقرأ الخبر، رجع إليه البصر خاسئًا وهو حسير، وواقع الحال يغني عن كثير من المقال . . . .

أتدري أيها الحبيب؛ ما سبب هذه النكبة؟! ما علَّة هذه الكبوة؟!

لقد أصيبت الأمة بهذه الغمَّة لبعدها عن المنهج المشرق، والمنبع المتدفِّق. . كتاب الله وسنة الحبيب المصطفى ﷺ الذي

يقول: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسَّكتم بهما: كتاب الله وسنَّة رسوله»(١).

فكان من نتائج البعد والصدِّ؛ اختلال الموازين، وتبدُّل المقاييس، واختلاف النظر، وانتكاس بعض الفطر، فالخير غدا شرّاً، والنفع أضحى ضُرّاً، والمعروف أصبح منكراً، والصواب استحال إلى خطأٍ عند جمع من الناس.

ومن الأمور التي اختلت فيها الموازين، وتبدلت حولها الأنظار، وتغيرت نحوها الأفكار؛ موضوع البطولة... وخصوصاً (البطولة عند الشباب)!! فابتلينا بأبطال من ورق!!

أبطال مزيَّفون:

* فمن الشباب من يرىٰ البطل ذلك الذي أصاب العدوَّ في مقتل.. ففي اللحظات الأخيرة والدقائق المثيرة يسجِّلُ الهدف!

فيمن الهدف ؟! ومن المستهدف؟! لا أعرف!

إنَّهُ اللاعب.. بطل الملاعب! وقد كان يكفيه أن اسمه «لاعب»!

* ومن الشباب من يرىٰ البطل ذلك الذي يكر ويفر.. يقبل

---

(١) موطأ الإمام مالك ـ ص٨٩٩، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويدبر . . يصول ويجول . . فعلىٰ أرض النزال يتبين الأبطال . . وتخرج مآثر الرجال!

لا أقول في ميادين القتال . . فذلك مما لا يخطر لهم علىٰ بال . . ولكن مع جمع من الأنذال . .

تراه بمركبته يلاحق الرِّفاق . . ويغامر بالسِّباق . . ويعرِّض نفسه للمتالف . .

إنه بطل التفحيط[١] والتطعيس![٢].

* ومن الشباب من يرىٰ البطولة في معاكسة النساء الغافلات، والتحرش بالفتيات الساذجات، في الأسواق والملاهي والمنتديات، بالرسائل والمعاكسات والمقابلات، ويفتخر بذلك علىٰ أترابه، ويمتدح نفسه بين أصحابه . . وكأنه بطل زمانه، وفارس ميدانه . .

وقد نسي أو تناسىٰ أن ذلك دَينٌ في عنقه، وأنَّه يقدِّم لنفسه . .

---

(١) لست أدري هل لفظ التفحيط صحيح لغويًا أم لا؟! فإن العرب لم يكونوا يعرفون التفحيط!.

(٢) التطعيس ليس صاحبه من يستحق أن تقول له: يرحمك الله! بل من نقول له: هداك الله!.

عُفُّوا تعفُّ نساؤكم في المحـرم

وتجنَّبُـوا ما لا يلـيـق بمسلـــمِ

إن الزنـا ديـنٌ فـإن أقرضتـــه

كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

من يُزن يزن بـه ولـو بجـداره

إن كنت يـا هـذا لبيبًا فافـهـم

من يُزن في بيت بألفي درهـم

في بيته يزنى بغـير الدرهـــم(١)

ومن الشباب من يرى البطولة شاخصة في ذلك الفنان أو المطرب أو الراقص الذي جاء بما لم تأت به الأوائل والأواخر!

يقولون - ويا بئس ما يقولون لو كانوا يعلمون! - فيلمٌ سينمائي . .

مسلسلةٌ هادفة - والله أعلم إلى ماذا تهدف! - .

مسرحية معبِّرة - والله أعلم عن رأي من تُعبِّر ! - .

بطولة الفنان الكبير (فلان) وتشاركه البطولة الفنانة العظيمة (فلانة)! .

---

(١) الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

حتىٰ غدا الممثل أو المطبِّل . . هو البطل! في نظر الشباب السُّذَّج الذين يتمنَّىٰ المتمنُّون منهم أن يكونوا مثلهم في شهرتهم ومكانهم في مكانتهم.

فتبًّا لقوم يأخذون دينهم وقيمهم عن مثل هؤلاء! الذين تجرَّدوا من الفضيلة وتلطَّخوا بالرذيلة.

فكيف يأتي بالدواء والشفاء من هو سبب الداء والبلاء؟!

* ومن الشباب من يرىٰ البطولة متمثلة في التجرُّد من ثوب الحياء ومن لباس الأدب ليلبس ما يُزري به من ملابس أعدائه الذين يكيدون له ويمكرون به . .

المهمُّ عنده أن يخرج عن المألوف، ويسترعي الانتباه، ويلفت الاهتمام، ولو بما لم يفهم معناه أو يدرك مغزاه.

حتَّىٰ إنك تجد من يلبس قبَّعات الوقاية من الشمس في غسق الليل. . وترىٰ من يرتدي من الفانلات أو البنطالات وعليها من الصور والرسومات والشعارات ما يدهشك ويملك عليك حيرتك! أو تسمعه - وهو يقصد ذلك ويسعىٰ إليه - يشغِّل مذياع السيارة بأعلىٰ الأصوات لأغانٍ ماجنةٍ، بأصوات فاسقةٍ وقحةٍ، بكلماتٍ بذيئةٍ ساقطةٍ!

ويرىٰ أنه بطل! لأنه تمرد علىٰ ما جاء به آباؤه الأول!

وكل أولئك ـ أيها الحبيب ـ وبالٌ على الأمة . . وأيُّ وبال!

بهم تفرَّق الصف، ومنهم دَبَّ الضعفُ، ومن أجلهم انتشر الفساد، وعليهم يقع التخطيط من أهل الكفر والتمرُّد والعناد.

يعيشون للدنيا . . . ويا ليتهم يعيشون عليها ليعمُروها! لا . . وإنما ـ من فسادهم ـ لم يعرفوا فيها إلا أحقر ما عليها!

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

يتلذذون بالمعاصي، ويرتكبون المناهي، ويفعلون السيئات، ويجترحون الخطيئات، ويقتحمون الموبقات . .

هِممُهُم باردة، وعزائمهم خائرة، وأمانيهم وآمالُهم فاترة . . يرضون بالدون، ويقنعون باليسير، ويخلدون للخمول . . .

وبليد الهمَّة لا يعرف قيمة القمَّة!

تأمَّل همَّة أحدهم . . ما أدناها!

وانظر إلى هَمِّه الذي أزعجه . . ما أعجزه!

«يقول أحد الكتَّاب: لقيت اليوم صديقنا» . . «وهو من هو في مكانه ومقامه!، فإذا هو ـ على غير عادته ـ منشرح الصدر، مُفتَّر الثغر، ضاحك الأسارير، قلتُ له: أراك اليوم على غير

عادتك، طلقًا نشيطًا، بادي السرور. قال: وما لي لا أكونُ كذلك، وقد أحرزتُ في هذا اليوم ثلاث انتصارات؟. قلت: لك الحقُّ إذن في تهللك وفرحك، فنحنُ في زمن لا نكادُ نظفرُ فيه بانتصار واحد بين مئات الهزائم؛ ولكن قل لي: ما هذه الانتصارات - إن لم تكن سرًا من الأسرار -؟.

قال: أما الانتصار الأول: فقد دخلت غرفة نومي من ثلاثة أيام ذبابة أزعجت نهاري، وأرَّقت ليلي، وقد حاولتُ جهدي طردها أو قتلها فلم أفلح، إلىٰ أن ظفرت بها اليوم فقتلتها شرَّ قتلة، وألقيتها حيث لا يمكن أن تعود، حتىٰ لو عادت إليها الحياة!

قلتُ: وما الانتصار الثاني؟

قال: الانتصارُ الثاني شعرتُ به وأنا أزن نفسي في الحمام، إذ هبط وزني من تسعة وتسعين كيلو، إلىٰ ثمانية وتسعين، وسبعمائة وخمسين جرامًا.

قلتُ: والانتصارُ الثالث؟

قال: لعبتُ اليوم بالنرد مع صديقنا فلانٌ، فغلبتُهُ مرَّتين متواليتين، هو الذي كان يغلبني باستمرار... أفتراني بعد ذلك كله حقيقًا بما أنا عليه من السعادة والطلاقة والمرح؟!»[1].

(١) مجلة الرائد (عدد ١٥٧) نقلاً عن علو الهمَّة لمحمد بن إسماعيل المقدم.

وكل أولئك - أيها الحبيب - وبالٌ على الأمة . . وأيُّ وبال!

بهم تفرَّق الصف، ومنهم دَبَّ الضعفُ، ومن أجلهم انتشر الفساد، وعليهم يقع التخطيط من أهل الكفر والتمرُّد والعناد.

يعيشون للدنيا . . . ويا ليتهم يعيشون عليها ليعمُروها! لا . . وإنما - من فسادهم - لم يعرفوا فيها إلا أحقر ما عليها!

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

يتلذذون بالمعاصي، ويرتكبون المناهي، ويفعلون السيئات، ويجترحون الخطيئات، ويقتحمون الموبقات . .

هِممُهُم باردة، وعزائمهم خائرة، وأمانيهم وآمالُهم فاترة . . يرضون بالدون، ويقنعون باليسير، ويخلدون للخمول . . .

وبليد الهمَّة لا يعرف قيمة القمَّة!

تأمَّل همَّة أحدهم . . ما أدناها!

وانظر إلى هَمِّه الذي أزعجه . . ما أعجزه!

«يقول أحد الكتَّاب: لقيت اليوم صديقنا» . . «وهو من هو في مكانه ومقامه!، فإذا هو - على غير عادته - منشرح الصدر، مُفتَّر الثغر، ضاحك الأسارير، قلتُ له: أراك اليوم على غير

عادتك، طلقًا نشيطًا، بادي السرور. قال: وما لي لا أكونُ كذلك، وقد أحرزتُ في هذا اليوم ثلاث انتصارات؟. قلت: لك الحقُّ إذن في تهللك وفرحك، فنحنُ في زمن لا نكادُ نظفرُ فيه بانتصار واحد بين مئات الهزائم؛ ولكن قل لي: ما هذه الانتصارات - إن لم تكن سرًا من الأسرار -؟.

قال: أما الانتصار الأول: فقد دخلت غرفة نومي من ثلاثة أيام ذبابة أزعجت نهاري، وأرَّقت ليلي، وقد حاولتُ جهدي طردها أو قتلها فلم أفلح، إلىٰ أن ظفرت بها اليوم فقتلتها شرَّ قتلة، وألقيتها حيث لا يمكن أن تعود، حتىٰ لو عادت إليها الحياة!

قلتُ: وما الانتصار الثاني؟

قال: الانتصارُ الثاني شعرتُ به وأنا أزن نفسي في الحمام، إذ هبط وزني من تسعة وتسعين كيلو، إلىٰ ثمانية وتسعين، وسبعمائة وخمسين جرامًا.

قلتُ: والانتصارُ الثالث؟

قال: لعبتُ اليوم بالنرد مع صديقنا فلانٌ، فغلبتُهُ مرَّتين متواليتين، هو الذي كان يغلبني باستمرار... أفتراني بعد ذلك كله حقيقًا بما أنا عليه من السعادة والطلاقة والمرح؟!»[1].

---

(١) مجلة الرائد (عدد ١٥٧) نقلاً عن علو الهمَّة لمحمد بن إسماعيل المقدم.

بلىٰ أيُّها البليدُ السعيد!

أقول لك ولمن علىٰ شاكلتك: هنيئًا لأعدائك بك! لقمة سائغة! وغنيمة باردة! الشباب هم الدواء، فانظر كيف غَدَوا علَّة وداء! وهم الأمل فتأمل كيف أصبحوا ألمًا!

وما تزالُ بقلبي ألفُ مبكيةٍ
من رهبة البوح تستحيي وتضطربُ

البطولة الحقيقية:

والبطولةُ - يا أخي - ليست - والله - فيما سبق! بل هي فيما سيأتي ويلحق!

فالخير في أمَّة الخير إلىٰ قيام الساعة، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة لا يضرُّها من خذلها ما تعاقب الليل والنهار، ولا يزال الله يغرس لهذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته، ولا يزال قائمٌ لله بحجَّة..

البطل وطلب العلم:

* فبطلٌ - من الشباب من يجثو بركبتيه بين يدي العلماء العاملين والدعاة المخلصين، ينهل من علمهم، ويقتبس من نورهم، ويأخذ من سمتهم ودلِّهم، يتحلقُ حولهم بعد أن أعرض عنهم الكثير الكثير... ويأخذ عنهم بعد أن زهد فيهم الجمُّ

الغفير . . فما أشرف مقصوده! وما أكرم مطلوبه! وما أعظم مرغوبه!

قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما قُبِضَ رسول الله - ﷺ - قلت لرجل من الأنصار: هلُمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله - ﷺ - فإنهم اليوم كثير» فقال: وا عجبًا لك يا ابن عباس! أترىٰ الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - من فيهم؟!

قال: «فتركت قوله: وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي علىٰ بابه، تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: «لا، أنا أحقُّ آن آتيك» فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتىٰ رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فكان يقول: هذا الفتىٰ كان أعقل مني»[1].

(١) سير أعلام النبلاء - الذهبي (٣/ ٣٤٣).

لكلٍّ بني الدنيا مـــراد ومقصَـــدُ

وإن مـــرادي صحَّـــةٌ وفـــراغُ

لأبلغ فـي علـم الشريعـــة مبلغًا

يكـون بـه لـي للجنـان بـــلاغُ

وفي مثل هذا فلينافس أولو النهىٰ

وحسبي من الدنيا الغَرورُ بـــلاغُ

قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: «كنت يتيمًا في حجر أمي، فدفعتني إلىٰ الكُتَّاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلِّم، وكان المعلِّم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام. فلما جمعت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث والمسألة فأحفظها، فلم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به القراطيس - أي الورق - فكنت أنظر إلىٰ العظم فآخذه، فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة، فاجتمع عندي جُبَّن - أي جرَّةٌ عظيمة من العظم»[1].

لك الله يا جامع العظم! كم أنت عظيم!

---

(١) سير أعلام النبلاء - الذهبي (١٠/ ١٠) وحلية الأولياء - (٩/ ٧٣) وصفة الصفوة - ابن الجوزي (٢/ ٩٥) والبداية والنهاية - ابن كثير (١٠/ ٢٥١).

قال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ـ رحمه الله : «كنت آتي نافعًا نصف النهار، وما تُظلُّني الشجرة من الشمس، أتحيَّن خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أُرِدهُ، ثم أتعرض له، فأسلم عليه وأَدَعَه، حتىٰ إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟! فيجيبني . . . وكنت آتي ابن هرمز بكرة ـ أي في الصبح الباكر ـ فما أخرج من بيته حتَّىٰ الليل»(٢).

في طلب العلم من الصباح إلىٰ الليل!

وا أسفًا علينا! لقد ملنا عنكم كلَّ الميل!

البطل والدعوة إلى الله تعالى:

* وبطلٌ من الشباب من يغدو كالشمس المشرقة تضيء بنورها السهول والوهاد وكالأنهار المتدفِّقة تروي بمائها البلاد والعباد، إنَّه الشابُّ الداعية ! فمن أحسن منه وهو يدعو الناس لرب الناس؟!

قال الله تعالىٰ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣]. .

---

(١) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي (٨/ ٤٨) وصفة الصفوة ـ ابن الجوزي (٢/ ١٧٧)، والبداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ١٧٤).

عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم... إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتَّى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلوُّن على معلِّمي الناس الخير**»(١).

إذ حضر الشتاءُ فأنت شمسُ
وإن حلَّ المصيفُ فأنت ظلُّ
جُزيتَ عن البريَّة كلَّ خيرٍ
فأنت الماجدُ البطلُ الأجلُّ
فذكرك في المسامع خيرُ هادٍ
ويكرَّر في الجموع فلا يُمَلُّ

«عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعهم؟

فقال عبدالله بن مسعود: أنا!

فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤٣) (٢٢١٦١).

القوم إن أرادوه، فقال: دعوني، فإن الله سيمنعني!

فغدا عبدالله حتىٰ أتىٰ المقام في الضحىٰ، وقريش في أنديتها حتىٰ قام عند المقام، فقال رافعًا صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢].

فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا، فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أمِّ عبد؟!

ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ، فقاموا، فجعلوا يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتَّىٰ بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلىٰ أصحابه، وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك!

فقال: ما كان أعداء الله قط أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غدًا!!

قالوا: حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون»[١].

البطل وفتنة النساء:

* وبطلٌ من الشباب من يثبت في الفتن عندما تعصفُ به، وتحيطُ بأهوالها حوله، وتزلزل بقوَّتها قلبه..

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير (٣/ ٢٨١).

تثبُتُ قدمه حين تزلُّ الأقدام وتضلُّ الكعوب.

ويستقيم على الطريق عندما تختلط المسالك والدُّروب..

ويقوىٰ قلبه كالجبال الراسية والصخور القاسية حينما تقلَّب القلوب!

وهل أعظم من فتنة النساء! إنها العاصفة الهوجاء! والمحنة العمياء! والكدرة الظلماء! ولا يثبت في هذا المحل إلا البطل!

أقول هذا، وأنا أتصور أمامي ذلك الشاب العظيم والنبي الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - وسيدة عصرها ووزيرة مصرها تراوده عن نفسه بنفسها! وهو يصرخ فيها عفة وطهارة.. ديانة وصيانة بعد أن عصمه مولاه: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]..

فمن استظلَّ بظلِّ العفَّة أظله الله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه في يوم يصعب وصفه.

«ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله»(١).

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٠١) (٦٦٠) وصحيح مسلم (٢/ ٥٩٠) =

«قال الراوي: كنت بمدينة الرسول ﷺ، جالسًا عند بعض أهل السوق، فمرَّ بي شيخٌ حسن الوجه، حسن الثياب، فقام إليه البائع، فسلم عليه، وقال له: يا أبا محمد! سل الله أن يعظم أجرك، وأن يربط بالصبر على قلبك. فقال له الشيخ مجيبًا:

وكان يميني في الوغى ومساعدي

فأصبحت قد خانت يميني ذراعها

وأصبحت حرَّانًا من الثكل حائرًا

أخا كلف ضاقت عليَّ رباعها

فقال له البائع: يا أبا محمد! أبشر، فإن الصبر معوَّل المؤمن، وإني لأرجو أن لا يحرمك الله الأجر على مصيبتك فيه. فقلت للبائع: من هذا الشيخ؟ فقال: رجل منا من الأنصار. فقلتُ: وما قصَّته؟

قال: أصيب بابنه، وكان به بارًا، قد كفاهُ جميع ما يعنيه، وميتته أعجب ميتة. فقلت: وما كان سبب موته؟

قال: أحبته امرأة من الأنصار، فأرسلت إليه تشكو إليه

= (١٠٣١) عن أبي هريرة. حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، نسأل الله من فضله.

حبَّها، وتسأله الزيارة، وتدعوه إلى الفاحشة، وكانت ذات بعل، فأرسل إليها:

إن الحرام سبيلٌ لستُ أسلكه
ولا أمرُّ به ما عشتُ في الناسِ
فابغي العتاب فإني غير متَّبِعٍ
ما تشتهين فكوني منه في ياسِ
إني سأحفظ فيكم من يصونكم
فلا تكوني أخا جهل ووسواس

فلما قرأت المرأة الكتاب، كتبت إليه:

دع عنك هذا الذي أصبحت تذكره
وصر إلى حاجتي يا أيُّها القاسي
دع التنسُّك إني غيرُ ناسكةٍ
وليس يدخلُ ما أبديت في راسي

قال: فأفشى ذلك إلى صديق له. فقال له: لو بعثت إليها بعض أهلك، فوعظتها وزجرتها، رجوت أن تكفَّ عنك. فقال: والله لا فعلتُ، ولا صرت في الدنيا حديثًا، وللعار في الدنيا خير من النار في الآخرة، وقال:

العـار فـي مُـدَّة الدنيـا وقِلَّـتـهـا
يفني ويبقى الذي في العار يؤذيني
والنارُ لا تنقضي ما دام بـي رمـقٌ
ولسـت ذا ميـتـة منـهـا فتفنيني
لـكـن سأصبر صبرُ الحرِّ محتسبًا
لعـلَّ ربي مـن الفـردوس يدنيني

قال : وأمسك عنها .

فأرسلت إليه : إمَّا أن تزورني ، وإما أن أزورك؟!

فـأرسل إليـهـا : أربعي أيتـهـا المرأة عن نفـسك ، ودعي عـنك التسرُّع إلى هذا الأمر .

فلما يئست منه ، ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر : ﴿ **وما يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ [البقرة: ١٠٢] فجعلت لها الرغائب في تهييجه ، فعملت لها فيه(١) .

فبينما هو ذات ليلة جالسًا مع أبيه ، إذ خطر ذكرها بقلبه ، وهاج منه أمر لم يكن يعرفه ، واختلط ، فقام من بين يدي أبيه مسرعًا ، ولاذ بالوضوء والصلاة والاستعاذة ، وجعل يبكي ،

---

(١) السحر من أعظم الموبقات ومن أكبر الكبائر ، فلا يجوز تصديق الساحر ولا الذهاب إليه ، قال رسول الله ﷺ : **«من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»** .

ويبكي، والأمر يزيد عليه.

فقال له أبوه: يا بنيَّ ما قصَّتك؟

قال: يا أبت أدركني بقيد، واربطني بالسلاسل، فما أري إلا أني قد غُلبتُ علىٰ عقلي، فجعل أبوه يبكي من أجله، وأخبره بخبر المرأة.

فقام إليه، فقيَّده بالسلاسل والقيود، وأغلق عليه في بيته، فجعل الشابُّ يضطرب، ويتضرَّب، ويخور كما يخور الثور..

ثم هدأ ساعة، وسكن!

فجاءه والده، فحرَّكه ذات اليمين وذات الشمال، فإذا به قد مات وفارق الحياة، والدم يسيلُ من منخريه»[1].

فماذا أقول لمن يسعىٰ للفاحشة بقدميه؟!

ماذا أقول لمن يعرِّض نفسه للهلاك من أجلها، ويغامر للحصول عليها؟!

ماذا أقول لمن يهدر ماله بسببها؟! وربما يُعدُّ ذلك رجولة وبطولة؟!

---

(١) الأتقياء وفتن النساء، الزهيري، بتصرف.

البطل والثبات على الحق:

* وبطلٌ من الشباب من يلتزم بدينه، ويستقيم على أمر ربه وشرعه، في هذا الزمان الذي كثرت شبهاته وشهواته، وأصبح الشاب يعيش الفتنة في كل ما يقرأ وينظر ويسمع..

ادلهمَّت عليه المحن، وعصفت به الفتن ما ظهر منها وما بطن، لتقذف في عقله الشبهات، وتلقي في قلبه الشهوات، وأصبح المتمسك من الشباب بدينه كالقابض على الجمر، وكمن يصارع التيار ويواجه الإعصار، في زمن كثر فيه المتساقطون على الطريق، المنتكسون على القفا، المولوّن الدُّبر!

نعوذ بالله من الحوَر بعد الكَور، ومن الضلال بعد الهدىٰ، ومن الغواية بعد الهداية.

أرسل النبي ﷺ حبيب بن زيد بكتاب إلى مسيلمة الكذاب بعد أن ادعى النبوة كذبًا وزورًا؛ فما كان من مسيلمة إلا أن قيَّد حبيبًا بالقيود والأغلال، والرُّسل في عرف الناس لا يفعل بها ذلك.

ثمَّ أوقفه بين يدي الجموع الحاشدة التي مُلئت بنفوس حاقدة وقلوب حاسدة، وقال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟

فقال: نعم! أشهد أن محمدًا رسول الله. فقال له: وتشهد

أني رسول الله؟

فقال حبيبٌ: إن في أذنيَّ صممًا عن سماع ما تقول..

فقال لجلاَّده: اقطع قطعة من جسده... فهوىٰ الجلاد بكل فظاظة وغلظة علىٰ حبيب بسيفه، وبتر قطعة من جسده، فألقاها أمامه.

ثم عاد ليسأله: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟

فقال: نعم! أشهد أن محمدًا رسول الله. فقال له: وتشهد أني رسول الله؟

فقال حبيب: إن في أذنيَّ صممًا عن سماع ما تقول..

فأمر بأن تقطع من جسده قطعة أخرىٰ...

وهكذا مضىٰ مسيلمة الكذاب يُقطِّع حبيبًا.. قطعة.. قطعة.. وحبيبٌ لا يلوي علىٰ شيء.. ثابت القلب، شامخ الأنف، رابط الجأش، مرفوع الهامة.

حتىَّ انفلق بدنه إلىٰ فلقتين؛ فلقةٌ مقطعة إربًا.. إربًا.. تسبقه إلىٰ الجنة! فضلاً من الله ومنَّة!

وجزءٌ آخر.. يعزم الرحيل لليوم الآخر!

وكلٌّ ذلك في ذات الإله!

فما زال الجلاَّد به يمزِّقه كل ممزَّق، حتَّىٰ فاضت روحه إلىٰ باريها، وسُلَّت من الجسد الذي كان يحتويها، وهو راسخ كالجبال، ثابت ثبوت الأبطال!

وسرىٰ الخبر - ويا له من خبر ! - إلىٰ أمِّه نسيبة المازنيَّة أمِّ عمارة فما زادت علىٰ أن قالت: من أجل مثل هذا الموقف أعددته . . وعند الله احتسبته![1].

فلله درُّك . . أهذا ردُّك . . أيتها الدُّرة!

ولله در حبيب درَّ منك ليبني هذه العزيمة الحرة!

عن أبي رافع، قال: وجَّه عمر جيشًا إلىٰ الروم، فأسروا عبدالله بن حذافة السهمي، فذهبوا به إلىٰ ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فأمر به ملكهم ليمتحن في دينه، ومن ذلك أنهم حبسوه في بيت لوحده، وجعلوا معه الخمر ولحم الخنزير، فلم يأكل منهما لثلاث ليال، فاطلعوا عليه، وقالوا للملك: لقد انثنىٰ عنقه، فإن أخرجته وإلا مات. فأخرجه، وقال: ما منعك أن تأكل وتشرب؟ قال: إن الضرورة قد أحلتها لي، ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام!

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١/ ٤٤٣) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (١/ ٣٠٦).

أناضل عـن ديـن عظيـم وهبتُهُ

عطـاء مقـلٍّ مهجتـي وحيـاتـا

وممتـثـلٍ لله أسـلـم وجـهـه

يقول أنا وحدي سأحمي دينيـا

بظهـري ببطنـي بالـذِّراع بمقلتـي

بجنبي بعظم الصَّدر حتىٰ التراقيا

علىٰ ذروة التوحيد تخفـق رايتـي

وتحـت روايتـهـا تصُـبَّ دمائيـا

ثم حبسوه أخرىٰ، وأدخلوا عليه فتنة كبرىٰ!

لقد اختاروا له من أجمل نسائهم، وزينوها، وأدخلوها عليه في غياهب الحبس والسجن، وتعرضت له، وتحرشت به، فما لان لها، ولا التفت إليها... فخرجت من عنده متحسِّرة عليه، وهي تقول: لا أدري أدخلتوني علىٰ بشر أم علىٰ حجر، والله ما التفت إلي ولا يدري عني، هل أنا أنثىٰ أم ذكر!

فدعا به ملكهم، وقال له: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟

قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ملك العرب

والعجم، ما رجعت عن دين محمد ﷺ، طرفة عين. قال: إذًا أقتلك!

قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب. وقال للرماة: ارموا قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى، فأنزله، ودعا بقدر، فصُبَّ فيه الزيت حتى صار يغلي ويفور. ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقي فيها، حتى ذاب جلده، و اهترئ لحمه، وطاشت عظامه، والملك ما زال بعبد الله يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى.

فأمر به الملك ليلقى في الزيت، فلما حملوه بكى عبدالله! فقيل للملك: إنه قد بكى. فظنَّ أنه قد جزع من الموت، وفزع من الهلاك، وخاف على فوات الحياة، فقال: ردُّوه، ما أبكاك؟ فقال له: هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار لله تعالى.

فقال له الطاغية - وقد ملكته الدهشة والهلع مما يرى ويسمع: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال عبدالله: أما عني، فلا، ولكن عن جميع أسرى المسلمين؟ قال: نعم، فقبَّل رأسه، وقدم بالأسرى على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن

حذافة، وأنا أبدأ، فقبَّل رأسه[١].

البطل في محراب العبادة:

* وبطلٌ من الشباب من لزم محراب العبادة في شبابه!

فلا تراهُ إلا تحت المنائر وبجوار المنابر في المساجد . . راكعٌ أو ساجدٌ، وقد قلَّ فينا العابد!

قيل لنافع: ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما.

وكان إذا فاتته العشاء في جماعة، أحيا بقيَّة ليلته.

وعن أبي نوح الأنصاري، قال: وقع حريقٌ في بيت فيه زين العابدين عليُّ بن الحسين، وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله، النار . . النار . .

فما رفع رأسه حتىَّ طفيت، فقيل له في ذلك، فقال: ألهتني عنها النار الأخرىٰ.

قال ثابت البناني: كنتُ أمرُّ بابن الزبير، وهو خلف المقام يصلي، كأنَّه خشبة منصوبة لا تتحرك.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ١١) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٦/ ٥٤) وأسد الغابة، ابن الأثير (٣/ ٢١٢).

وعن ابن المنكدر، قال: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنَّه غُصنٌ تصفقه الريح، وحجر المنجنيق يقع ها هنا وها هنا ـ أي حوله.

وسقطت حيَّةٌ على ابنه هاشم، وهو قائم يصلي، فصاحوا فيه: الحيَّة.. الحيَّة، ثم قتلوها ورموها، فما قطع صلاته..

عن أبي حرملة، عن ابن المسيِّب، قال: ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة، وما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد!

لا أقول: ثلاثة فروض! أو ثلاثة أيَّام!

وإنما ثلاثون عامًا. يا كرام!

البطل والصدق في طلب الجنَّة:

* وبطلٌ من الشباب من يطلب الجنَّة من ربِّه، ويبذل من أجلها كل غال ورخيص وكل هين ونفيس، فهي سلعة الله الغالية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

والشاب البطل من يحمل روحه فوق كفِّه، يشتري بها رضوان الله والجنة، ويبذل المهر نقداً لحوريَّات دار السلام[١].

وانظر معي إلى الخاطب ما أجلَّ قدره! وما أجمل مهره!

كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له جليبيب في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله ﷺ التزويج، فقال: إذًا تجدني كاسداً، فقال ﷺ: **«غير إنك عند الله لست بكاسد»**.

قال النبي ﷺ لأحد الأنصار - وكان له بنت - زوجني ابنتك. فقال: نعم ونعمة عين. فقال له: إني لست لنفسي أريدها. قال: لمن؟ قال: لجليبيب. قال: حتىَّ استأمر أمَّها. فأتاها، فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ. قال: إنَّه ليس يريدها لنفسه. قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: حلقى أجليبيب أنيه؟ مرتين، لا لعمر الله، لا أزوج جليبيباً. قال: فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة

---

(١) انظر: غير مأمور بل غانم مأجور - كتيب (من البطل؟!) للمؤلف، وسلسلة كتاب (صور من حياة الصحابة) لعبد الرحمن رأفت الباشا لتقف على بعض الصور المدهشة للبطولة الحقيقية للصحابة الكرام رضوان الله عليهم وحشرنا معهم وفي زمرتهم، فإنا نشهد الله على محبتهم، وإن لم نعمل كعملهم، فإن المرء يحشر مع من أحب.

لأمها من خدرها: من خطبني إليكما؟ قالت: النبي ﷺ. قالت: فتردون على النبي ﷺ أمره؟ ادفعوني إلى النبي ﷺ فإنَّه لا يضيعني. فأتى أبوها النبي ﷺ فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبًا(١).

فكان النبي ﷺ في مغزىً له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: **«هل تفقدون من أحد؟»** قالوا: نعم. فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: **«هل تفقدون من أحد؟»** قالوا: نعم فلانًا وفلانًا وفلانًا ثم قال: **«هل تفقدون من أحد؟»** قالوا: لا. قال: **«لكني أفقد جليبيبًا فاطلبوه»** فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه. فقال: **«قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه»** قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، فحفر له ووضع في قبره(٢).

فيا لها من ركضة إلى الجنة!

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٢٥) وهو في موارد الظمآن على ابن حبان برقم (٢٢٦٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٤٧٢).

البطل والدور المرتقب:

* وبطل من الشباب من يعرف الغاية من خلقه، والهدف من وجوده، فلا تراه إلا في خير، ولا تبصره إلا على طاعة وأمر رشيد.

لا يعيش سبهللاً على هامش الحياة، وعلى حواشي الوقائع..

يصلح أمر دنياه كأنه يعيش أبدًا، ويصلح أمر آخرته كأنه يموت اليوم، وليس يموت غدًا.

فالأمَّة في حاجة لكل واحدٍ من أبنائها..

فلا طاقات معطَّلة، ولا مهارات مهدَرة، ولا قدرات مبعثرة، فكل واحد منا يصلح أمره، ويحرُس ثغره!

فكن يا أخي زفرة تحرِقُ
وكن يا أخي لفحةً تصعقُ
لماذا رهبت نزال الرجال
وأنت المحنَّكُ والحاذقُ ؟!
لماذا ذرفت دموع الخنوعِ
وأنت المبرَّز والسابقُ ؟!

كفانا - أيها الشباب - أن نعيش عالة على غيرنا، نتكفف أعداءنا أسباب تطورنا وتقدمنا، ونحن نملك أسبابه وأبوابه.

كفانا أن نعيش على فتات موائد غيرنا، ونحن نملك ثروات طائلة، وقدرات هائلة، ولكنها - وللأسف الشديد! - معطَّلة!

أمتنا تنتظركم يا شبابها! وتبحث عنكم يا أبطالها! لتعيدوا لها مجدها كسابق عهدها، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

شباب الجيل للإسلام عودوا
فأنت روحه وبكم يسود
وأنت سر نهضته قديمًا
وأنت فجره الزاهي الجديد

فكونوا صُنَّاع حياة، ورواد بناء، وعدة تقدم، فمكانكم الذي يليق بكم . . الصف المقدم!

اضربوا بسهم الأبطال في كل مجال حلال!

وليكن لكم القدح المعلَّى في كل مضمار، وقصب السبق في كل ميدان من ميادين الأمجاد. .

فأنتم . . نعم أنتم . . خير أحفاد لخير أجداد!